المكتبة الخضراء للأطفال

١٠

البلبل



بقلم: عادل الغضبان

دار المعارف

المكتبة الخضراء للأطفال

١٠



بقلم: عادل الغضبان



دار المعارف

الطبعة الثامنة عشرة



حَكَمَ بِلَادَ ٱلصِّينِ فِي قَدِيمِ ٱلزَّمَانِ مَلِكٌ كَرِيمُ ٱلْأَخْلَاقِ، طَيِّبُ ٱلْقَلْبِ، وَاسِعُ ٱلْغِنَى.

وَكَانَ لِهٰذَا ٱلْمَلِكِ قَصْرٌ يُعَدُّ أَجْمَلَ ٱلْقُصُورِ فِي ٱلْعَالَمِ، فَقَدْ بُنِيَتْ أَرْضُهُ وَسُقُوفُهُ مِنَ ٱلْبِلَّوْرِ ٱلشَّفَّافِ، وَشُيِّدَتْ حِيطَانُهُ مِنَ ٱلْخَزَفِ ٱلصِّينِيِّ ٱلْفَاخِرِ، وَصُنِعَتْ أَبْوَابُهُ مِنْ سَبَائِكِ ٱلذَّهَبِ ٱلْخَالِصِ.

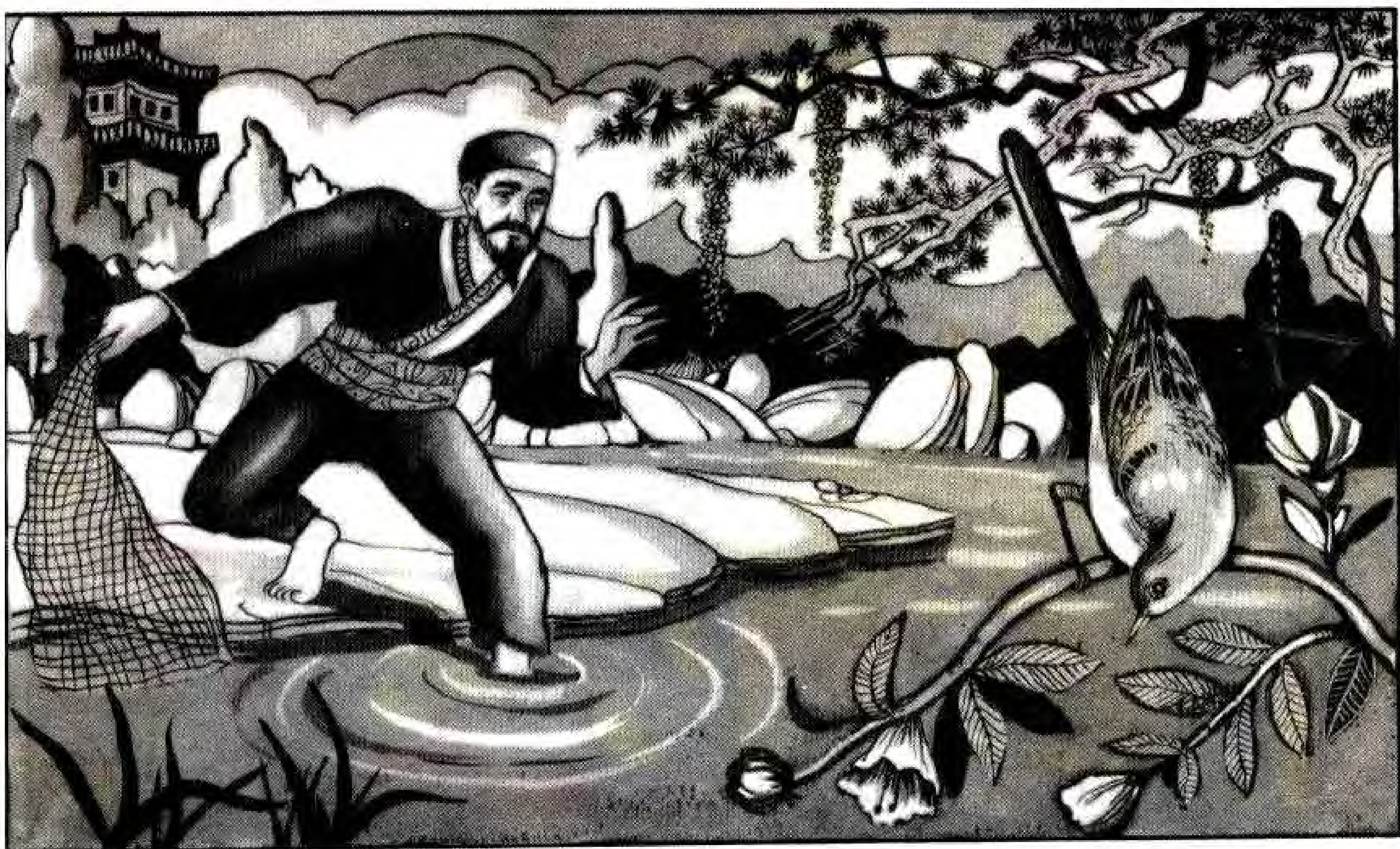
وَكَانَ لِذٰلِكَ ٱلْقَصْرِ ، حَدِيقَةٌ وَاسِعَةٌ جِدًّا ، لَا يُدْرِكُ ٱلْبَصَرُ آخِرَهَا، وَلَا يَعْرِفُ ٱلْبُسْتَانِيُّونَ أَنْفُسُهُمْ أَيْنَ تَنْتَهِي، وَكَانَتْ هِيَ أَيْضًا تُعَدُّ أَجْمَلَ حَدَائِقِ ٱلدُّنْيَا ، وَأَبْدَعَهَا تَنْسِيقًا ، وَأَغْنَاهَا بِٱلْأَزْهَارِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ ٱلْأَصْنَافِ وَٱلْأَلْوَانِ .

وَكَانَتْ تِلْكَ ٱلْحَدِيقَةُ مُزْدَانَةً كَذٰلِكَ بِبُحَيْرَاتٍ جَمِيلَةٍ ، يُشْبِهُ لَوْنُهَا ٱلْأَزْرَقُ لَوْنَ ٱلْفَيْرُوزِ، وَتَمْتَدُّ وَرَاءَهَا غَابَاتٌ كَثِيفَةٌ، تُفْضِي إِلَى بَحْرٍ هَادِئٍ عَمِيقٍ، تَسْتَطِيعُ ٱلسُّفُنُ أَنْ تَصِلَ فِيهِ إِلَى ٱلشَّاطِئِ ، وَتَسِيرَ تَحْتَ أَغْصَانِ ٱلْأَشْجَارِ ٱلْمُمْتَدَّةِ فَوْقَهُ .



وَكَانَ هُنَاكَ بُلْبُلٌ ، قَدِ ٱتَّخَذَ مِنْ بَعْضِ ٱلْأَغْصَانِ ٱلْقَرِيبَةِ مِنَ ٱلشَّاطِئِ، عُشًّا لَهُ يُغَنِّي فِيهِ وَيُغَرِّدُ تَغْرِيدًا سَاحِرًا يَهُزُّ ٱلْقُلُوبَ ، حَتَّى إِنَّ ٱلصَّيَّادَ ٱلْفَقِيرَ





ٱلْمِسْكِينَ ، ٱلْمُحْتَاجَ إِلَى كَسْبِ قُوتِهِ وَقُوتِ عِيَالِهِ مِنْ صَيْدِ ٱلسَّمَكِ ، كَانَ إِذَا سَمِعَهُ شُغِلَ بِصَوْتِهِ ٱلرَّخِيمِ عَنْ طَرْحِ شَبَكَتِهِ فِي ٱلْمَاءِ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

– « مَا أَجْمَلَ صَوْتَ هٰذَا ٱلْبُلْبُلِ ، وَمَا أَحْلَى غِنَاءَهُ ! »

وَٱشْتَهَرَ أَمْرُ هٰذَا ٱلْقَصْرِ وَهٰذِهِ ٱلْحَدِيقَةِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ ٱلْعَالَمِ ، وَأَقْبَلَ ٱلسُّيَّاحُ إِلَى عَاصِمَةِ مَمْلَكَةِ ٱلصِّينِ ، لِيُشَاهِدُوا

ذٰلِكَ ٱلْبِنَاءَ ٱلْجَمِيلَ ٱلْعَجِيبَ ، وَيَتَأَمَّلُوا تِلْكَ ٱلْحَدِيقَةَ ٱلْفَاتِنَةَ ٱلْمُنْقَطِعَةَ ٱلنَّظِيرِ ، وَلٰكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَمِعُوا غِنَاءَ ٱلْبُلْبُلِ ، تَحَوَّلَ إِعْجَابُهُمْ إِلَى ذٰلِكَ ٱلصَّوْتِ ٱلسَّاحِرِ ، وَصَاحُوا قَائِلِينَ :

– « إِنَّ صَوْتَ هٰذَا ٱلْبُلْبُلِ أَجْمَلُ شَيْءٍ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ ، فَمَا أَحْلَى غِنَاءَهُ وَتَغْرِيدَهُ ! »

وَكَانَ هٰؤُلَاءِ ٱلسُّيَّاحُ ، إِذَا رَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ ، حَدَّثُوا إِخْوَانَهُمْ بِمَا رَأَوْا وَسَمِعُوا مِنَ ٱلْعَجَائِبِ وَٱلْغَرَائِبِ .



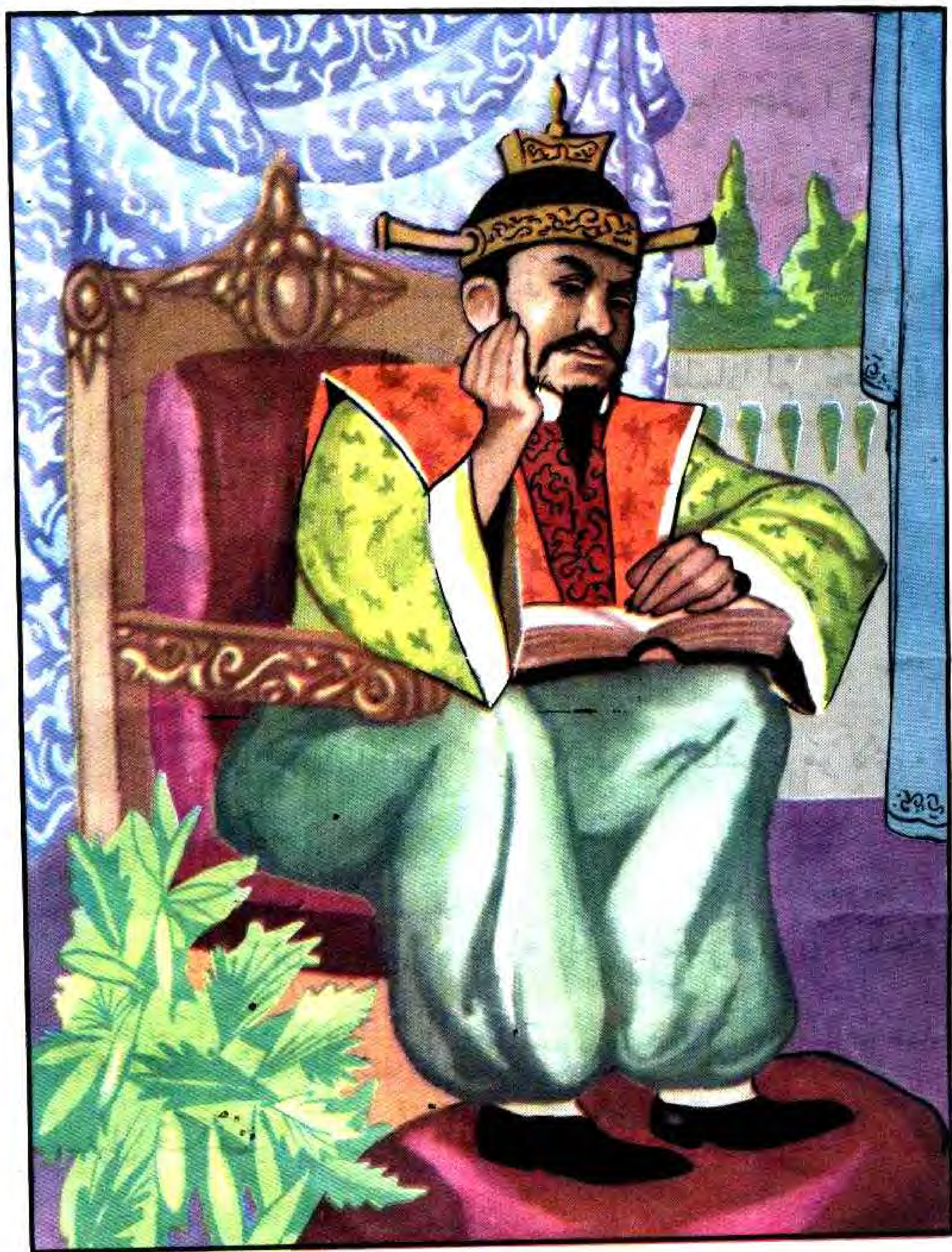
ثُمَّ أَخَذَ ٱلْعُلَمَاءُ مِنْهُمْ وَٱلشُّعَرَاءُ ، يُؤَلِّفُونَ ٱلْكُتُبَ وَيَنْظِمُونَ ٱلْقَصَائِدَ فِي وَصْفِ عَاصِمَةِ مَمْلَكَةِ ٱلصِّينِ ، وَقَصْرِهَا ٱلْبَدِيعِ ٱلْعَجِيبِ ، وَٱلْحَدِيقَةِ ٱلْمُدْهِشَةِ ٱلَّتِي

تُحِيطُ بِٱلْقَصْرِ ، وَكَانُوا يَخُصُّونَ ذٰلِكَ ٱلْبُلْبُلَ بِأَعْظَمِ جَانِبٍ مِنَ ٱلْمَدِيحِ وَٱلثَّنَاءِ وَٱلْوَصْفِ ٱلْجَمِيلِ.

وَسَارَتْ تِلْكَ ٱلْكُتُبُ وَٱلْقَصَائِدُ حَوْلَ ٱلْعَالَمِ، وَٱنْتَشَرَتْ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ مِنْ مُدُنِ ٱلْأَرْضِ وَقُرَاهَا ، حَتَّى وَصَلَ بَعْضُهَا إِلَى يَدِ مَلِكِ ٱلصِّينِ .

فَجَلَسَ يَوْمًا عَلَى مَقْعَدِهِ ٱلْمُذَهَّبِ ، وَٱنْدَفَعَ يَقْرَأُ وَيَقْرَأُ ، وَهُوَ يَهُزُّ رَأْسَهُ سُرُورًا ، فَلَمَّا وَصَلَ فِي قِرَاءَتِهِ إِلَى وَصْفِ ٱلْبُلْبُلِ ، قَرَأَ ٱلْجُمْلَةَ ٱلْآتِيَةَ : « أَمَّا ٱلْبُلْبُلُ ٱلَّذِي يُغَنِّي عَلَى أَغْصَانِ ٱلشَّجَرِ فِي تِلْكَ ٱلْغَابَةِ ٱلْفَرِيدَةِ، فَإِنَّهُ أَجْمَلُ مَا فِي ٱلْقَصْرِ وَٱلْحَدِيقَةِ . »

فَتَسَاءَلَ ٱلْمَلِكُ قَائِلًا : « مَا شَأْنُ هٰذَا ٱلْبُلْبُلِ ؟ وَعَنْ أَيِّ بُلْبُلٍ يَتَحَدَّثُونَ؟ إِنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهٰذَا ٱلْبُلْبُلِ وَلَا رَأَيْتُهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ فِي مَمْلَكَتِي، بَلْ فِي حَدِيقَةِ قَصْرِي ، بُلْبُلٌ عَلَى مِثْلِ



هٰذَا الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ ، وَلَا أَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا ؟ حَقًّا إِنَّ الْكُتُبَ هِيَ الَّتِي تُعَلِّمُ الإِنْسَانَ وَتُطْلِعُهُ عَلَى كُلِّ مَا يَجْهَلُ ! »

فَاسْتَدْعَى إِلَيْهِ فِي الْحَالِ كَبِيرَ الأُمَنَاءِ ، وَقَالَ لَهُ :

- « عَلِمْتُ أَنَّ هُنَاكَ عُصْفُورًا فَرِيدَ الْمَحَاسِنِ يُسَمُّونَهُ الْبُلْبُلَ ، وَأَنَّهُ أَجْمَلُ شَيْءٍ فِي حَدِيقَتِي الْوَاسِعَةِ ، فَلِمَاذَا لَمْ يُحَدِّثُونِي عَنْهُ قَبْلَ الْيَوْمِ ؟ »

فَقَالَ كَبِيرُ الأُمَنَاءِ :

- « لَمْ نَسْمَعْ بِهِ يَا مَوْلَايَ ، وَلَا قَرَأْنَا اسْمَهُ فِي سِجِلِّ التَّشْرِيفَاتِ ، وَلَا قَدَّمَهُ أَحَدٌ إِلَى بَلَاطِ جَلَالَتِكَ يَا مَوْلَايَ . »

فَقَالَ الْمَلِكُ :

- « أُرِيدُ أَنْ يَحْضُرَ اللَّيْلَةَ إِلَى الْقَصْرِ ، وَأَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ غِنَائِهِ . . . إِنَّ الْعَالَمَ أَجْمَعَ يَعْرِفُ أَنِّي أَمْتَلِكُ هٰذَا الْبُلْبُلَ فَكَيْفَ أَكُونُ أَنَا الْوَحِيدَ الَّذِي يَجْهَلُهُ ، وَلَا يَعْرِفُ



مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا ؟ »

فَقالَ كَبيرُ ٱلْأُمَناءِ:

– « سَأَتَحَرَّى عَنْهُ وَأَعْثُرُ عَلَيْهِ وَأُوافِيكَ يا مَوْلَایَ بِالْخَبَرِ ٱلْيَقِينِ . »

وَٱسْتَأْذَنَ كَبيرُ ٱلْأُمَناءِ فِي ٱلِانْصِرافِ ، وَمَضَى يَبْحَثُ عَنْ ذٰلِكَ ٱلبُلْبُلِ . فَبَدَأَ يَطُوفُ بِأَرْوِقَةِ ٱلْقَصْرِ وَغُرَفِهِ ، وَيَصْعَدُ فِي كُلِّ دَرَجٍ وَيَنْزِلُ مِنْهُ ، وَيَسْأَلُ عَنِ ٱلبُلْبُلِ كُلَّ مَنْ رَآهُمْ فِي طَرِيقِهِ ، فَمَا مِنْ أَحَدٍ ٱسْتَطَاعَ أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى مَكَانِ ذٰلِكَ ٱلْبُلْبُلِ . فَعادَ إِلَى ٱلْمَلِكِ ، وَقَالَ لَهُ :

– « مَوْلَایَ ! لا تُصَدِّقْ كُلَّ مَا تَقْرَأُ عَنْ هٰذِهِ ٱلْقِصَّةِ... إِنَّهَا وَهْمٌ وَخَيَالٌ ، بَلْ إِنَّهَا ضَرْبٌ مِنَ ٱلسِّحْرِ ٱلْحَرَامِ ... »

فَقَالَ ٱلْمَلِكُ :

– « إِنَّ ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِى قَرَأْتُ فِيهِ حِكَايَةَ هٰذَا ٱلْبُلْبُلِ ، قَدْ أَرْسَلَهُ إِلَيَّ مَلِكُ ٱلْيَابَانِ ٱلْعَظِيمُ ، وَلا يُمْكِنُ أَنْ يَحْتَوِىَ هٰذَا ٱلْكِتَابُ عَلَى ٱلْأَكَاذِيبِ... ، إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ هٰذَا ٱلْبُلْبُلَ ، وَلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَا فِى هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ... فَإِنْ حَضَرَ أَكْرَمْتُهُ وَغَمَرْتُهُ بِٱلْهَدَايَا ، وَإِذَا لَمْ يَحْضُرْ فَسَوْفَ أَدُوسُ بِقَدَمِى بَعْدَ ٱلْعَشَاءِ بَطْنَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْ رِجَالِ حَاشِيَتِى... »

فَاضْطَرَبَ كَبِيرُ ٱلْأُمَنَاءِ وَقَالَ :

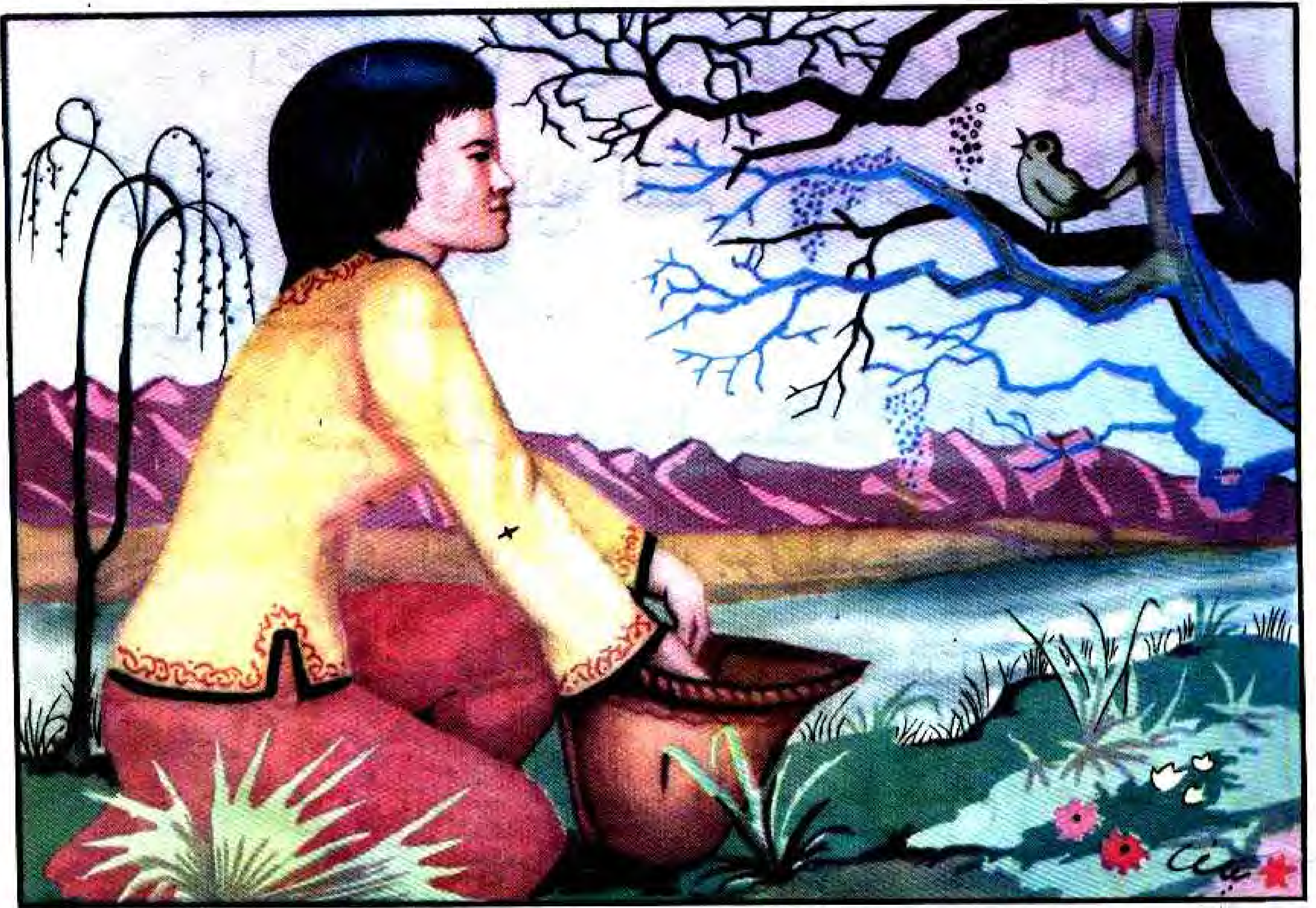
– « سَمْعاً وَطَاعَةً يَا مَوْلَایَ . »

وَجَرَى كَبِيرُ ٱلْأُمَنَاءِ يَطُوفُ ثَانِيَةً بِأَرْوِقَةِ ٱلْقَصْرِ وَغُرَفِهِ ، وَيَصْعَدُ ٱلسَّلالِمَ وَيَنْزِلُ مِنْهَا ، وَجَرَى مَعَهُ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ رِجَالِ

ٱلْحَاشِيَةِ ، وَكُلُّهُمْ خَائِفٌ مِنْ أَنْ تُدَاسَ بَطْنُهُ بَعْدَ ٱلْعَشَاءِ .

وَفِيمَا ذٰلِكَ ٱلْجُمْهُورُ يَرْكُضُ ، مَرَّ بِعَامِلَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ ٱلْعَامِلَاتِ فِي مَطْبَخِ ٱلْقَصْرِ ، فَسَأَلَهَا كَبِيرُ ٱلْأُمَنَاءِ سُؤَالَ ٱلْيَائِسِ عَمَّا تَعْرِفُ مِنْ أَمْرِ ٱلْبُلْبُلِ فَقَالَتِ ٱلْفَتَاةُ :

– « إِنِّي أَعْرِفُ ٱلْبُلْبُلَ كُلَّ ٱلْمَعْرِفَةِ ... حَقًّا يَا سَيِّدِي إِنَّهُ



بُلْبُلٌ مُدْهِشٌ لَا يُحَاكِيهِ فِي جَمَالِ ٱلصَّوْتِ أَيُّ طَائِرٍ آخَرَ ..

وَٱعْلَمْ يَا سَيِّدِى أَنِّى فِى كُلِّ مَسَاءٍ أَتْرُكُ ٱلْقَصْرَ حَامِلَةً إِلَى أُمِّى بَعْضَ فَضَلَاتِ ٱلطَّعَامِ، فَعِنْدَمَا أَعُودُ رَاجِعَةً إِلَى ٱلْقَصْرِ أَتَوَقَّفُ قَلِيلاً عِنْدَ بَعْضِ ٱلْأَشْجَارِ فِى ٱلْغَابَةِ ، وَأُصْغِى إِلَى غِنَاءِ ٱلْبُلْبُلِ فَيُطْرِبُنِى غِنَاؤُهُ وَيَكَادُ ٱلدَّمْعُ يَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنَىَّ تَأَثُّرًا وَطَرَبًا . »

فَقَالَ لَهَا كَبِيرُ ٱلْأُمَنَاءِ مُتَلَهِّفًا :

– « اِسْتَمِعِى لِى يَا بُنَيَّةُ ... سَوْفَ أَرْفَعُكِ إِلَى مَنْصِبٍ أَعْلَى مِنْ مَنْصِبِكِ فِى مَطْبَخِ ٱلْقَصْرِ ، إِذَا أَنْتِ دَلَلْتِنَا عَلَى مَكَانِ ٱلْبُلْبُلِ، وَمَشِيتِ مَعَنَا إِلَيْهِ . »

وَسَارَ ٱلْجَمْعُ تَتَقَدَّمُهُمُ ٱلْفَتَاةُ إِلَى حَيْثُ تَعَوَّدَتْ أَنْ تَسْمَعَ ٱلْبُلْبُلَ يُغَنِّى ، فَمَرُّوا فِى أَثْنَاءِ سَيْرِهِمْ ، بِثَوْرٍ يَمْرَحُ فِى ٱلْغَابَةِ ، فَجَفَلَ مِنْ رُؤْيَتِهِمْ وَأَخَذَ يَخُورُ خُوَارًا شَدِيدًا ، فَصَاحَ أَحَدُهُمْ :

– « هَا هُوَ ذَا صَوْتُ ٱلْبُلْبُلِ ، وَلٰكِنْ مَا أَضْخَمَ ٱلصَّوْتَ عَلَى طَائِرٍ صَغِيرٍ ... ثُمَّ إِنِّى قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلصَّوْتَ قَبْلَ ٱلْآنِ ! »

فَقَالَتْ لَهُ ٱلْفَتَاةُ :

– «لَيْسَ هٰذَا صَوْتَ ٱلْبُلْبُلِ يَا سَيِّدِى... إِنَّهُ خُوَارُ ثَوْرٍ... أَمَّا مَكَانُ ٱلْبُلْبُلِ فَلَا يَزَالُ غَيْرَ قَرِيبٍ مِنْ هُنَا .»

وَلَمْ تَكَدِ ٱلْفَتَاةُ تُتِمُّ كَلَامَهَا حَتَّى أَخَذَتِ ٱلضَّفَادِعُ تَنِقُّ فِى بَعْضِ ٱلْمُسْتَنْقَعَاتِ وَيُسْمَعُ لِنَقِيقِهَا صَوْتٌ بَعِيدُ ٱلصَّدَى .

فَصَاحَ رَجُلٌ آخَرُ مِنْ رِجَالِ ٱلْحَاشِيَةِ قَائِلاً :

– « هَا هُوَ ذَا صَوْتُ ٱلْبُلْبُلِ . إِنِّى لَأَسْمَعُهُ... إِنَّهُ لَيُشْبِهُ صَوْتَ ٱلْجَرَسِ . » فَقَالَتْ لَهُ فَتَاةُ ٱلْمَطْبَخِ :

– « لَيْسَ هٰذَا صَوْتَ ٱلْبُلْبُلِ يَا سَيِّدِى ... إِنَّهُ نَقِيقُ



ٱلضَّفَادِعِ ... وَكَيْفَمَا كَانَ ٱلْأَمْرُ، فَسَوْفَ نَسْمَعُ صَوْتَ ٱلْبُلْبُلِ بَعْدَ قَلِيلٍ، فَقَدْ أَصْبَحْنَا عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ مَكَانِهِ . »

وَمَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ مَعْدُودَاتٌ، حَتَّى تَرَقْرَقَ فِي جَوِّ ٱلْغَابَةِ صَوْتٌ حُلْوٌ رَخِيمٌ، يَأْسِرُ ٱلْقُلُوبَ وَٱلْأَسْمَاعَ. فَقَالَتِ ٱلْفَتَاةُ:

– « هٰذَا صَوْتُ ٱلْبُلْبُلِ ... اِسْمَعُوهُ: اِسْمَعُوهُ يَا سَادَةُ وَأَصْغُوا إِلَيْهِ. وَٱنْظُرُوا إِلَى حَيْثُ أُشِيرُ لَكُمْ تَجِدُوا ٱلْبُلْبُلَ ٱلْعَجِيبَ . »

وَٱلْتَفَتَ ٱلْقَوْمُ إِلَى ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي أَشَارَتْ إِلَيْهِ إِصْبَعُ ٱلْفَتَاةِ، فَوَقَعَتْ أَنْظَارُهُمْ عَلَى عُصْفُورٍ صَغِيرٍ، رَمَادِيِّ ٱللَّوْنِ، وَاقِفٍ فَوْقَ غُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ عَالِيَةٍ. فَقَالَ كَبِيرُ ٱلْأُمَنَاءِ:



– « مَا كُنْتُ لِأَتَخَيَّلَ ٱلْبُلْبُلَ عَلَى مِثْلِ هٰذَا ٱلْمَظْهَرِ ... إِنَّهُ حَقًّا طَائِرٌ نَحِيلُ ٱلْجِسْمِ، بَاهِتُ ٱللَّوْنِ، فَلَعَلَّهُ ٱضْطَرَبَ وَبُهِتَ لَوْنُهُ



عِنْدَمَا شَاهَدَ هٰذَا ٱلْجَمْعَ ٱلْغَفِيرَ مِنْ أَكَابِرِ ٱلْقَوْمِ وَعُظَمَائِهِمْ . »

فَرَفَعَتِ ٱلْفَتَاةُ رَأْسَها نَحْوَ ٱلْبُلْبُلِ، وَقَالَتْ تُحَدِّثُهُ بِصَوْتٍ عَالٍ:

— « أَيُّها ٱلْبُلْبُلُ ٱلْعَزِيزُ ! إِنَّ مَلِيكَنَا ٱلْمَحْبُوبَ يَرْغَبُ أَنْ تُغَنِّيَهُ بَعْضَ أَغَانِيكَ . » فَقَالَ ٱلْبُلْبُلُ :

— « عَلَى ٱلرَّأْسِ وَٱلْعَيْنِ... إِنَّ رَغَبَاتِ ٱلْمَلِكِ أَوَامِرُ نُلَبِّيهَا طَائِعِينَ مَسْرُورِينَ . »

ثُمَّ أَخَذَ يُغَنِّي وَيُغَرِّدُ فَسَحَرَ ٱلْأَلْبَابَ، وَسَبَى ٱلْقُلُوبَ، حَتَّى قَالَ كَبِيرُ ٱلْأُمَنَاءِ :

— « إِنَّ لِصَوْتِ هٰذَا ٱلْبُلْبُلِ رَنِيناً يُشْبِهُ رَنِينَ ٱلْبِلَّوْرِ... »

وَظَنَّ ٱلْبُلْبُلُ أَنَّ كَبِيرَ ٱلْأُمَنَاءِ هُوَ ٱلْمَلِكُ فَقَالَ :

— « هَلْ يُرِيدُ جَلَالَةُ ٱلْمَلِكِ أَنْ أَمْضِيَ فِي ٱلصُّدَاحِ وَٱلتَّغْرِيدِ ؟ » فَقَالَ كَبِيرُ ٱلْأُمَنَاءِ يُجِيبُهُ :

- « يَا عَزِيزِى ٱلْبُلْبُلَ ! إِنَّ جَلَالَةَ ٱلْمَلِكِ لَيْسَ بَيْنَنَا ، وَلٰكِنَّهُ سَمِعَ بِكَ فَٱشْتَاقَ إِلَى رُؤْيَتِكَ وَسَمَاعِ صَوْتِكَ، وَإِنَّهُ لَيَسُرُّنِى وَيُشَرِّفُنِى أَنْ أَدْعُوَكَ بِٱسْمِ جَلَالَتِهِ إِلَى شُهُودِ ٱلْحَفْلِ ٱلسَّاهِرِ ٱلَّذِى يُقَامُ ٱللَّيْلَةَ فِى قَصْرِهِ وَإِنِّى لَعَلَى ثِقَةٍ بِأَنَّ جَلَالَةَ ٱلْمَلِكِ سَيَطْرَبُ غَايَةَ ٱلطَّرَبِ ، إِذَا سَمِعَ صَوْتَكَ وَأَغَانِيَكَ . »

فَقَالَ ٱلْبُلْبُلُ :

- « إِنَّ صَوْتِى أَجْمَلُ مَا يَكُونُ فِى ٱلْحُقُولِ وَٱلْغَابَاتِ ، غَيْرَ أَنَّنِى أَقْبَلُ ٱلدَّعْوَةَ خُضُوعًا لِمَشِيئَةِ ٱلْمَلِكِ . »

وَكَانَ قَصْرُ ٱلْمَلِكِ فِى تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ مُزْدَانًا بِأَرْوَعِ زِينَةٍ ، وَكَانَتِ ٱلْحِيطَانُ وَٱلسُّقُوفُ وَكُلُّهَا مِنَ ٱلْبِلَّوْرِ وَٱلْخَزَفِ ٱلصِّينِيِّ ٱلْفَاخِرِ تَبْرُقُ وَتَسْطَعُ فِى ٱلْأَضْوَاءِ ٱلْمُنْعَكِسَةِ عَلَيْهَا مِنْ آلَافِ ٱلْمَصَابِيحِ ٱلذَّهَبِيَّةِ . وَكَانَتْ أَرْوِقَةُ ٱلْقَصْرِ مُمْتَلِئَةً بِأَجْمَلِ

أَنْوَاعِ ٱلْوَرْدِ وَٱلزَّهْرِ ، وَقَدْ رُبِطَتْ بِهَا أَجْرَاسٌ مِنَ ٱلْفِضَّةِ ، تَتَحَرَّكُ وَتَتَمَايَلُ ، فَيُسْمَعُ لَهَا رَنِينٌ جَمِيلٌ . وَكَانَ ٱلْقَصْرُ كُلُّهُ فِي حَرَكَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ ، فَهٰذَا يَرُوحُ وَهٰذَا يَجِيءُ ، وَذَاكَ يَتَحَدَّثُ وَآخَرُ يَضْحَكُ ، حَتَّى شَمَلَ ٱلْقَصْرَ فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ مَظْهَرٌ غَرِيبٌ جَدِيدٌ ، لَمْ يَأْلَفْهُ ٱلنَّاسُ مِنْ قَبْلُ .

وَكَانَتْ قَاعَةُ ٱلْعَرْشِ ٱلْكُبْرَى ، آيَةَ ٱلْآيَاتِ رَوْعَةً وَجَمَالاً وَقَدْ نُصِبَتْ فِيهَا قَاعِدَةٌ مِنَ ٱلْفِضَّةِ يَتَفَرَّعُ عَلَيْهَا غُصْنٌ مِنَ ٱلذَّهَبِ لِيَقِفَ ٱلْبُلْبُلُ فَوْقَهُ .

وَفِي ٱلْمَوْعِدِ ٱلْمُحَدَّدِ ، أَقْبَلَ ٱلْمَلِكُ وَجَلَسَ عَلَى عَرْشِهِ ٱلذَّهَبِيِّ وَٱزْدَحَمَتِ ٱلْحَاشِيَةُ مِنْ حَوْلِهِ حَتَّى غَصَّتِ ٱلْقَاعَةُ بِٱلْحَاضِرِينَ عَلَى سِعَتِهَا ، أَمَّا فَتَاةُ ٱلْمَطْبَخِ فَكَانَتْ تَشْهَدُ ٱلْحَفْلَ مِنْ خِلَالِ ٱلثُّقْبِ فِي قُفْلِ أَحَدِ ٱلْأَبْوَابِ ، فَلَقَبُهَا ٱلْجَدِيدُ وَهُوَ « رَئِيسَةُ ٱلْعَامِلَاتِ فِي مَطْبَخِ صَاحِبِ ٱلْجَلَالَةِ » يَأْذَنُ لَهَا فِي ذٰلِكَ .



وَغَرَّدَ ٱلْبُلْبُلُ تَغْرِيدًا جَمِيلًا ، سَحَرَ ٱلْقُلُوبَ ، وَأَجْرَى ٱلدَّمْعَ عَلَى ٱلْخُدُودِ مِنْ شِدَّةِ ٱلطَّرَبِ وَٱلتَّأَثُّرِ ، وَكَانَ ٱلْمَلِكُ أَكْثَرَ ٱلسَّامِعِينَ تَأَثُّرًا ، وَأَغْزَرَهُمْ دُمُوعًا ، فَخَلَعَ قِلَادَةً كَانَتْ فِي عُنُقِهِ ، وَأَمَرَ بِأَنْ تُعَلَّقَ بِعُنُقِ ٱلْبُلْبُلِ دَلَالَةً عَلَى سُرُورِهِ وَرِضَاهُ . فَٱعْتَذَرَ ٱلْبُلْبُلُ عَنْ قَبُولِ تِلْكَ ٱلْهَدِيَّةِ وَقَالَ :

– « لَقَدْ كُوفِئْتُ عَلَى غِنَائِي أَثْمَنَ مُكَافَأَةٍ ، فَقَدْ رَأَيْتُ ٱلدَّمْعَ



يَنهَمِرُ مِنْ عَيْنَىِ ٱلْمَلِكِ ، وَذٰلِكَ عِنْدِى أَغْلَى مِنْ كُلِّ كُنُوزِ ٱلْأَرْضِ ، إِنَّ دُمُوعَ ٱلْمَلِكِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ثَمِينٌ ، وَإِنِّى لَأَعُدُّ نَفْسِى قَدْ نِلْتُ بِهَا أَعْظَمَ ٱلْجَزَاءِ . »

وَٱنْتَهَى ٱلْحَفْلُ عَلَى أَجْمَلِ مَا يَكُونُ مِنَ ٱلْبَهْجَةِ وَٱلسُّرُورِ ، وَأَصْدَرَ ٱلْمَلِكُ أَمْرَهُ بِأَنْ يَسْكُنَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلْقَصْرَ ، وَأَنْ يُصْنَعَ لَهُ قَفَصٌ خَاصٌّ يَأْوِى إِلَيْهِ ، وَلٰكِنَّهُ سَمَحَ لَهُ بِمُغَادَرَةِ ٱلْقَصْرِ مَرَّتَيْنِ فِى ٱلنَّهَارِ ، وَمَرَّةً فِى ٱللَّيْلِ . وَأَمَرَ كَذٰلِكَ بِأَنْ يَقُومَ عَلَى خِدْمَةِ ٱلْبُلْبُلِ ٱثْنَا عَشَرَ خَادِمًا .

فَكَانَ كُلُّ خَادِمٍ مِنْ هٰؤُلَاءِ يُمْسِكُ بِيَدِهِ خَيْطًا مِنَ ٱلْحَرِيرِ رُبِطَ طَرَفُهُ ٱلْآخَرُ بِإِحْدَى قَائِمَتَىِ ٱلْبُلْبُلِ ، فَضَاقَ ٱلْعُصْفُورُ ٱلْمِسْكِينُ بِهٰذِهِ ٱلْحَالِ ، وَعَدَلَ عَنْ مُغَادَرَةِ ٱلْقَصْرِ ، حَتَّى فِى ٱلْمَرَّاتِ ٱلَّتِى سُمِحَ لَهُ بِهَا ، وَٱسْتَقَرَّ فِى قَفَصِهِ هَادِئًا سَاكِنًا .

وَقَامَتِ ٱلْعَاصِمَةُ وَقَعَدَتْ ، وَأَصْبَحَتْ لَا تَتَحَدَّثُ إِلَّا عَنْ





ذٰلِكَ ٱلْبُلْبُلِ ٱلْعَجِيبِ صَاحِبِ ٱلصَّوْتِ ٱلْجَمِيلِ ٱلسَّاحِرِ .

وَأَخَذَ ٱلْآبَاءُ وَٱلْأُمَّهَاتُ يُسَمُّونَ كُلَّ مَوْلُودٍ لَهُمْ بِاسْمِ « بُلْبُل » إِظْهَارًا لِإِعْجَابِهِمْ بِذٰلِكَ ٱلطَّائِرِ ٱلْجَمِيلِ ، وَلٰكِنْ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْ هٰؤُلَاءِ ٱلْمَوَالِيدِ أَيُّ أَثَرٍ مِنْ صَوْتِ ٱلْبُلْبُلِ .

وَتَلَقَّى ٱلْمَلِكُ فِي يَوْمٍ مِنَ ٱلْأَيَّامِ عُلْبَةً كَبِيرَةً مَكْتُوبًا عَلَيْهَا كَلِمَةُ « بُلْبُل » . فَقَلَّبَ ٱلْمَلِكُ ٱلْعُلْبَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ :

— « لَا بُدَّ أَنَّهُ كِتَابٌ جَدِيدٌ مِنَ ٱلْكُتُبِ ٱلْمُؤَلَّفَةِ عَنْ هٰذَا ٱلطَّائِرِ ٱلشَّهِيرِ . »



ثُمَّ فَتَحَ ٱلْعُلْبَةَ فَوَجَدَ فِيهَا

أُعْجُوبَةً مِنْ أَعَاجِيبِ ٱلصِّنَاعَةِ ،

فَقَدْ كَانَ فِي دَاخِلِهَا عُصْفُورٌ مَصْنُوعٌ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ مُرَصَّعٌ

بِالْأَلْمَاسِ وَالْيَاقُوتِ وَالزُّمُرُّدِ، يُشْبِهُ كُلَّ الشَّبَهِ ذٰلِكَ الْبُلْبُلَ الْحَيَّ.
وَكَانَ إِذَا أُدِيرَ مِفْتَاحُ الْآلَةِ الْمُرَكَّبَةِ فِي جَوْفِهِ، انْطَلَقَ يُغَنِّي إِحْدَى الْأَغَانِي الَّتِي تَعَوَّدَ الْبُلْبُلُ الْحَيُّ أَنْ يُغَنِّيَهَا، وَأَخَذَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يُحَرِّكُ ذَيْلَهُ الْبَرَّاقَ اللَّمَّاعَ.

وَكَانَ عُنُقُ ذٰلِكَ الْبُلْبُلِ الْآلِيِّ مَلْفُوفًا بِمِنْدِيلٍ مِنَ الْحَرِيرِ، كُتِبَتْ عَلَيْهِ الْعِبَارَةُ الْآتِيَةُ: «بُلْبُلُ مَلِكِ الصِّينِ لَا يُقَارَنُ بِبُلْبُلِ مَلِكِ الْيَابَانِ.»

وَالْحَقُّ أَنَّ الْمَلِكَ عِنْدَمَا فَتَحَ الْعُلْبَةَ، لَمْ يَسْتَطِعْ هُوَ وَلَا اسْتَطَاعَ الَّذِينَ كَانُوا حَوْلَهُ أَنْ يَكْتُمُوا دَهْشَتَهُمْ وَإِعْجَابَهُمْ فَصَاحُوا كُلُّهُمْ فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ:

«يَا لَلْعَجَبِ!»

وَفَكَّرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَاضِرِينَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ: «لَقَدْ صَارَ لَدَيْنَا بُلْبُلَانِ، وَلَسَوْفَ يُغَنِّيَانِ مَعًا، وَيَكُونُ لَنَا مِنْ

غِنَائِهِمَا مُوسِيقَى مُزْدَوِجَة ! »

وَتَحَقَّقَتِ ٱلْفِكْرَةُ ، وَغَنَّى ٱلْبُلْبُلَانِ مَعًا ، وَلَٰكِنْ عَلَى غَيْرِ مَا ٱشْتَهَى ٱلسَّامِعُونَ ، فَبَيْنَمَا كَانَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلْحَيُّ حُرًّا طَلِيقًا ، يُغَرِّدُ كَمَا يَشَاءُ ، كَانَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلصِّنَاعِيُّ مُقَيَّدًا بِٱلْآلَةِ ٱلْمَوْضُوعَةِ فِي جَوْفِهِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحِيدَ عَنْهَا ، فَتَضَايَقَ ٱلسَّامِعُونَ ، فَقَالَ رَئِيسُ جَوْقَة



ٱلْمُوسِيقَى فِي ٱلْقَصْرِ :

« لَيْسَ ٱلذَّنْبُ ذَنْبَ هٰذَا ٱلْبُلْبُلِ ٱلصِّنَاعِيِّ ، فَهُوَ أَمِينٌ عَلَى ٱلنَّغَمِ كَأَنَّهُ مُتَخَرِّجٌ فِي مَدْرَسَتِي ، فَٱلْأَفْضَلُ أَنْ يُغَنِّيَ وَحْدَهُ . »

وَجَعَلُوا ٱلْبُلْبُلَ ٱلصِّنَاعِيَّ يُغَنِّي وَحْدَهُ ، فَلَقِيَ مِثْلَ ٱلنَّجَاحِ ٱلَّذِي لَقِيَهُ ٱلْبُلْبُلُ ٱلْحَيُّ ، فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ كَانَ أَجْمَلَ مَنْظَرًا بِمَا يَسْطَعُ فِيهِ مِنْ لَآلِئَ وَجَوَاهِرَ .

وَٱسْتَعَادَهُ ٱلسَّامِعُونَ مِرَارًا فَأَعَادَ ٱلْأُنْشُودَةَ ٱثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ مَرَّةً ، فَمَا مَلَّ وَلَا تَعِبَ ، وَكَادُوا يَطْلُبُونَ سَمَاعَهَا لِلْمَرَّةِ ٱلثَّالِثَةِ وَٱلثَّلَاثِينَ ، لَوْلَا أَنَّ ٱلْمَلِكَ ٱسْتَوْقَفَهُمْ وَقَالَ :

– « كَفَى . فَعَلَى ٱلْبُلْبُلِ ٱلْحَيِّ أَنْ يَصْدَحَ ٱلْآنَ . »

وَلٰكِنْ أَيْنَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلْحَيُّ ؟ كَانَ حُرَّاسُهُ قَدْ شُغِلُوا عَنْهُ بِٱلْبُلْبُلِ ٱلصِّنَاعِيِّ ، فَتَرَكُوا ٱلْخُيُوطَ ٱلَّتِي فِي أَيْدِيهِمْ ، فَغَافَلَ ٱلْجَمْعَ

وَطَارَ مِنَ ٱلنَّافِذَةِ ٱلْمَفْتُوحَةِ ، وَعَادَ إِلَى عُشِّهِ فِي ٱلْغَابَةِ .

وَٱشْتَدَّ غَضَبُ ٱلْمَلِكِ وَحَاشِيَتِهِ عَلَى ٱلْبُلْبُلِ ٱلْحَيِّ ٱلْهَارِبِ ، فَصَدَرَتِ ٱلْأَوَامِرُ بِنَفْيِهِ مِنَ ٱلْعَاصِمَةِ ، بَلْ مِنَ ٱلْمَمْلَكَةِ بِأَسْرِهَا ، جَزَاءَ فِرَارِهِ وَإِنْكَارِهِ لِلْجَمِيلِ .

وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ ٱلْتَمَسَ رَئِيسُ جَوْقَةِ ٱلْمُوسِيقَى مِنَ ٱلْمَلِكِ ، أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِعَرْضِ ٱلْبُلْبُلِ ٱلصِّنَاعِيِّ عَلَى جُمْهُورٍ مِنَ ٱلشَّعْبِ لِيَتَمَتَّعَ بِجَمَالِهِ وَغِنَائِهِ ٱلْبَدِيعِ ، فَأَذِنَ ٱلْمَلِكُ لَهُ فِي ذٰلِكَ ، وَكَانَ سُرُورُ ٱلشَّعْبِ بِسَمَاعِ غِنَاءِ ٱلْبُلْبُلِ عَظِيمًا لَا يُوصَفُ .

وَأُحِيطَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلصِّنَاعِيُّ بِكُلِّ رِعَايَةٍ وَتَكْرِيمٍ ، فَوَضَعُوهُ فَوْقَ وِسَادَةٍ مِنَ ٱلْحَرِيرِ ، عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ سَرِيرِ ٱلْمَلِكِ ، وَنَثَرُوا حَوْلَهُ جَمِيعَ ٱلْهَدَايَا ٱلَّتِي قُدِّمَتْ لَهُ وَكُلُّهَا مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْحِجَارَةِ ٱلْكَرِيمَةِ : وَمَنَحَهُ ٱلْمَلِكُ لَقَبَ « مُطْرِبِ ٱلْمَلِكِ » وَكَانَ مِنْ حَقِّ حَامِلِ هٰذَا ٱللَّقَبِ أَنْ يَجْلِسَ فِي ٱلصَّفِّ ٱلْأَوَّلِ



إِلى يَسَارِ رَبِّ ٱلْقَصْرِ .

وَكَانَ ٱلْمَلِكُ قَدْ فَضَّلَ جِهَةَ ٱلْيَسَارِ عَلَى جِهَةِ ٱلْيَمِينِ، وَمَيَّزَهَا بِٱلشَّرَفِ وَٱلْفَضْلِ ، لِأَنَّهَا جِهَةُ ٱلْقَلْبِ مِنْ جِسْمِ ٱلإِنْسَانِ ، فَٱلْمُلُوكُ هُمْ أَيْضًا تَقُومُ قُلُوبُهُمْ إِلَى ٱلْيَسَارِ ، مِثْلَ بَقِيَّةِ ٱلنَّاسِ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ عَنْهُمْ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ .

وَمَضَتْ عَلَى ذٰلِكَ سَنَةٌ كَامِلَةٌ ، حَتَّى إِنَّ ٱلْمَلِكَ وَرِجَالَ حَاشِيَتِهِ وَجَمِيعَ ٱلصِّينِيِّينَ ، أَصْبَحُوا يَحْفَظُونَ عَنْ ظَهْرِ ٱلْقَلْبِ ، كُلَّ كَلِمَةٍ بَلْ كُلَّ نَغْمَةٍ مِنْ أُغْنِيَةِ ٱلْبُلْبُلِ ٱلصِّنَاعِيِّ .

وَحِينَمَا كَانَتْ جُمُوعُهُمْ ، مِنَ ٱلْمَلِكِ إِلَى صِبْيَةِ ٱلشَّوَارِعِ تُغَنِّي وَتَقُولُ : « توى ... توى ... توى ... توى ... جلوجلو ...

جلوجلو . . . جلوجلو . . . » كَانَ يُخَيِّلُ إِلَى السَّامِعِ ، أَنَّ أَصْوَاتَ ٱلنَّاسِ فِى ٱلصِّينِ قَدِ انْقَلَبَتْ كُلُّهَا إِلَى تَغْرِيدِ ٱلْبَلَابِلِ . »

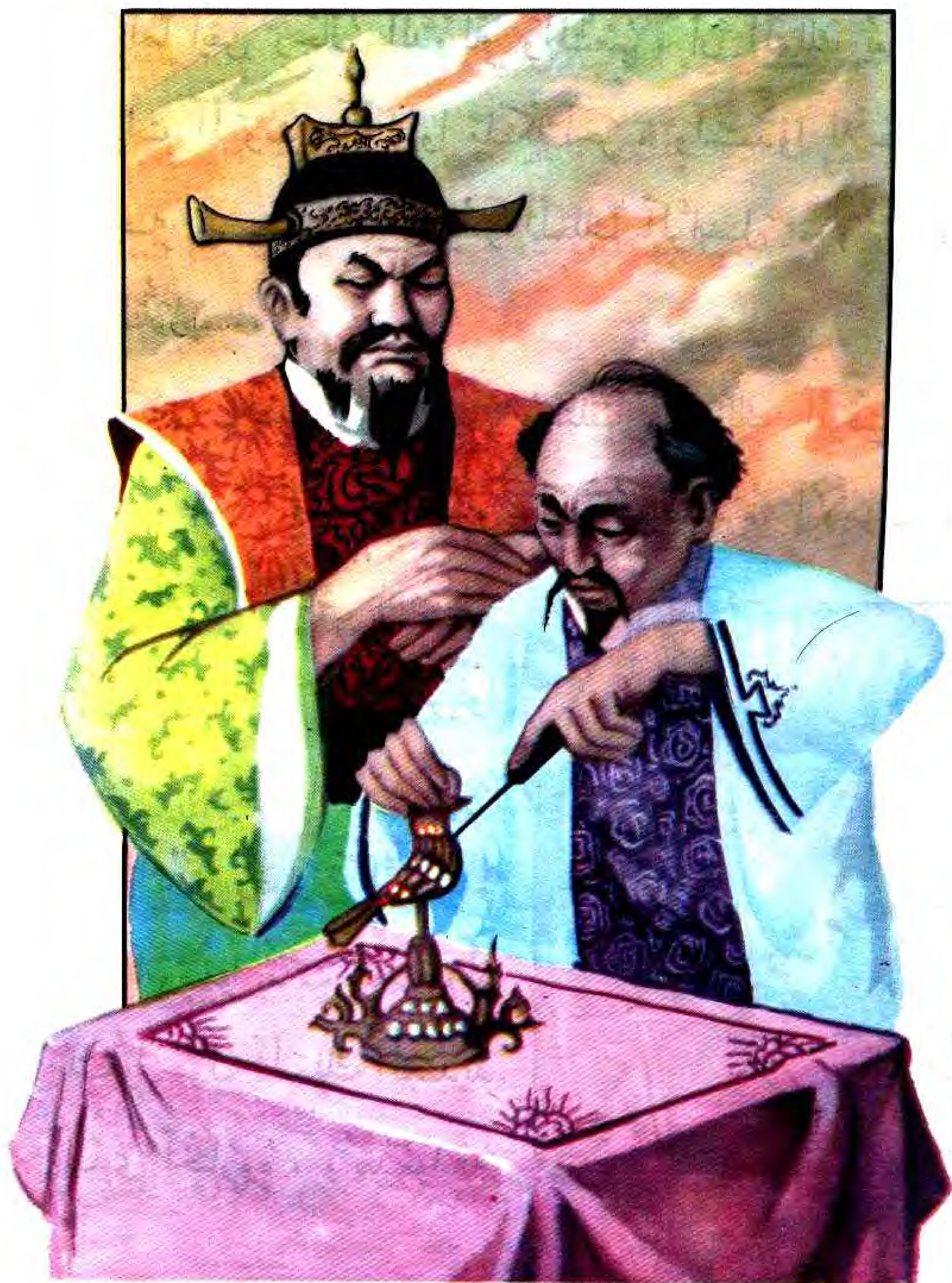
وَٱتَّفَقَ فى مَسَاءِ أَحَدِ ٱلْأَيَّامِ ، أَنْ كَانَ الْبُلْبُلُ الصِّنَاعِىُّ يُغَنِّى وَحْدَهُ لِلْمَلِكِ الْمُضْطَجِعِ فِى سَرِيرِهِ ، فَسَمِعَ فَجْأَةً فِى جِسْمِ الْبُلْبُلِ دَوِىٌّ شَدِيدٌ كَأَنَّهُ يَقُولُ : « كراك » مِمَّا يَدُلُّ عَلَى شَىْءٍ فِيهِ قَدِ ٱنْكَسَرَ ، وَتَبِعَ ذَلِكَ ٱلدَّوِىَّ صَوْتٌ آخَرُ يُشْبِهُ ٱلْكَرْكَرَةَ... كر... وَكَانَ ذَلِكَ صَوْتَ ٱللَّوَالِبِ ٱلصَّغِيرَةِ ٱلْمُرَكَّبَةِ فِى ٱلْآلَةِ ، فَقَدْ تَفَكَّكَتْ وَٱنْكَسَرَ بَعْضُهَا ، وَٱنْقَطَعَ صَوْتُ الْبُلْبُلِ فَلاَ غِنَاءَ وَلاَ تَغْرِيدَ .

فَقَفَزَ ٱلْمَلِكُ مِنْ سَرِيرِهِ ، وَٱسْتَدْعَى عَلَى ٱلْفَوْرِ طَبِيبَهُ ٱلْخَاصَّ ، وَلَكِنَّ ٱلطَّبِيبَ عَجَزَ عَنْ أَنْ يَسْتَطِيعَ مُدَاوَاةَ ٱلْبُلْبُلِ ، فَكُلُّ مَا فِى جِسْمِ هَذَا الْبُلْبُلِ مِنْ عُدَدٍ وَآلاتٍ يَخْرُجُ عَنِ ٱخْتِصَاصِ ٱلطَّبِيبِ .

فَٱسْتَدْعَى ٱلْمَلِكُ عِنْدَئِذٍ سَاعَاتِيَّ ٱلْقَصْرِ ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ إِصْلَاحَ ٱلْخَلَلِ، فَبَعْدَ أَلْفِ مُحَاوَلَةٍ، وَبعْدَ أَلْفِ تجْرِبَةٍ وَتَجْرِبَةٍ، تمَكَّنَ ٱلسَّاعَاتِيُّ مِنْ إِصْلَاحِ بَعْضِ ٱلْأَجْزَاءِ وَتَرْكِيبِهَا ثَانِيَةً، فَعَادَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلصِّنَاعِيُّ إِلَى ٱلْغِنَاءِ ، وَلَٰكِنْ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ يَخْتَلِفُ عَنْ صَوْتِهِ ٱلْأَوَّلِ ٱلْقَوِيِّ ، ذٰلِكَ أَنَّ ٱلْقَوَالِبَ وَٱلتُّرُوسَ كَانَتْ قَدْ مُسِحَتْ وَبَلِيَتْ مِنْ كَثْرَةِ ٱلِاسْتِعْمَالِ وَٱلدَّوَرَانِ ، وَهَيْهَاتَ أَنْ يَكُونَ ٱلشَّيْءُ ٱلْجَدِيدُ مِثْلَ ٱلشَّيْءِ ٱلْقَدِيمِ ٱلْمُسْتَعْمَلِ ٱلْبَالِي .

وَأَسِفَ ٱلنَّاسُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ ، وَٱقْتَصَرُوا عَلَى يَوْمٍ وَاحِدٍ فِي ٱلسَّنَةِ ، يَسْمَعُونَ فِيهِ غِنَاءَ هٰذَا ٱلْبُلْبُلِ .

وَاسْتَمَرُّوا كَذٰلِكَ خَمْسَ سَنَوَاتٍ مَرِضَ ٱلْمَلِكُ بَعْدَهَا مَرَضًا شَدِيدًا أَشْرَفَ بِهِ عَلَى ٱلْمَوْتِ، وَتَوَقَّعَ ٱلشَّعْبُ أَنْ يُعْلِنَ ٱلْقَصْرُ نَبَأَ مَوْتِ ٱلْمَلِكِ بَيْنَ لَحْظَةٍ وَأُخْرَى .



وَلَمَّا أَيْقَنَ رِجَالُ ٱلدَّوْلَةِ وَٱلشَّعْبُ، أَنَّ ٱلْمَلِكَ يُعَالِجُ سَكَرَاتِ ٱلْمَوْتِ، ٱخْتَارُوا مَلِكًا آخَرَ، وَٱسْتَعَدُّوا لِلاحْتِفَالِ بِتَتْوِيجِهِ، بَعْدَ أَنْ يَدْفِنُوا ٱلْمَلِكَ ٱلرَّاحِلَ، وَيُوَارُوهُ فِى ٱلتُّرَابِ.

وَكَانَ ٱلْمَلِكُ ٱلْمَرِيضُ مُسْتَلْقِيًا فِى ذٰلِكَ ٱلْوَقْتِ إِلَى فِرَاشِهِ، بَارِدَ ٱلْجَسَدِ، تَعْلُو وَجْهَهُ صُفْرَةُ ٱلْأَمْوَاتِ، وَكَانَ أَقْرَبُ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِ مِنْ رِجَالِ حَاشِيَتِهِ، قَدِ ٱنْصَرَفُوا عَنْهُ، وَتَرَكُوا خِدْمَتَهُ وَمُدَاوَاتَهُ، وَصَارَ كُلُّ هَمِّهِمْ بَعْدَ مَا وَثِقُوا بِقُرْبِ مَمَاتِهِ، أَنْ يَلْتَفُّوا حَوْلَ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَدِيدِ ٱلَّذِى ٱخْتَارُوهُ، وَيُقَدِّمُوا لَهُ



فُرُوضَ ٱلطَّاعَةِ وَٱلإِجْلَالِ .

وَحَتَّى ٱلْخَدَمُ وَٱلْمُمَرِّضَاتُ ، مِمَّنْ كَانُوا قَائِمِينَ عَلَى خِدْمَتِهِ ، أَصْبَحُوا يُهْمِلُونَ شَأْنَهُ كُلَّ ٱلإِهْمَالِ ، وَيَتَجَمَّعُونَ وَرَاءَ بَابِ حُجْرَتِهِ ، يَتَحَدَّثُونَ وَيَضْحَكُونَ ، وَيَشْرَبُونَ ٱلْقَهْوَةَ فِي مُعْظَمِ سَاعَاتِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ .

وَٱلْوَاقِعُ أَنَّ ٱلْمَلِكَ ٱلْمَرِيضَ ، لَمْ يَكُنْ قَدْ مَاتَ بَعْدُ ، فَإِنْ بَدَا شَاحِبَ ٱللَّوْنِ ، يَائِسَ ٱلْجِسْمِ ؛ فَإِنَّ أَنْفَاسَهُ ٱلضَّعِيفَةَ كَانَتْ لَا تَزَالُ تَتَرَدَّدُ فِي صَدْرِهِ ، وَهُوَ مُمَدَّدٌ فَوْقَ سَرِيرِهِ ٱلْمُجَلَّلِ بِسَتَائِرَ مِنَ ٱلْحَرِيرِ وَٱلْمُخْمَلِ ، ٱلْمُرَصَّعِ بِٱلْفِضَّةِ وَٱلذَّهَبِ .

وَفِي ٱللَّيْلَةِ ٱلَّتِي ظَنَّهَا ٱلْمَلِكُ أَنَّهَا خَاتِمَةُ حَيَاتِهِ ، كَانَ ٱلْقَمَرُ بَدْرًا تَمَامًا ، يُرْسِلُ مِنْ خِلَالِ ٱلنَّافِذَةِ ٱلْمَفْتُوحَةِ أَشِعَّتَهُ ، فَتَقَعُ عَلَى وَجْهِ ٱلْمَلِكِ .

وَلٰكِنَّ ٱلْمَلِكَ كَانَ مَشْغُولاً عَنْ بَهَاءِ ٱلْقَمَرِ وَنُورِهِ ٱلْفِضِّيِّ ،

بِمَا كَانَ يُحِسُّ بِهِ مِنْ ضِيقٍ شَدِيدٍ .

فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ قَلِيلاً ، فَلاحَ لَهُ شَبَحُ ٱلْمَوْتِ جَاثِمًا فَوْقَهُ ، وَقَدِ ٱنْتَزَعَ مِنْهُ تَاجَهُ ٱلْمَلَكِيَّ ، وَأَمْسَكَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ سَيْفَهُ ٱلذَّهَبِيَّ ، وَحَمَلَ بِٱلأُخْرَى رَايَتَهُ ٱلْحَرِيرِيَّةَ ، فَأَدَارَ بَصَرَهُ عَنْهُ ، فَبَدَتْ لَهُ مِنْ ثَنَايَا ٱلأَسْتَارِ ٱلْمُحِيطَةِ بِسَرِيرِهِ ، وُجُوهٌ غَرِيبَةٌ ، كَانَ بَعْضُهَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ بِنَظَرَاتِ ٱلسُّخْطِ وَٱلْغَضَبِ ، وَكَانَ بَعْضُهَا ٱلآخَرُ يَغْمُرُهُ بِنَظَرَاتِ ٱلْعَطْفِ وَٱلْحَنَانِ :

كَانَتِ ٱلْوُجُوهُ ٱلأُولَى أَشْبَاحَ أَعْمَالِهِ ٱلسَّيِّئَةِ فِي ٱلْحَيَاةِ ، وَكَانَتِ ٱلأُخْرَى خَيَالَ أَعْمَالِهِ ٱلصَّالِحَةِ فِيهَا ، وَقَدْ تَرَاءَتْ لَهُ هٰذِهِ وَتِلْكَ فِي ٱللَّحْظَةِ ٱلَّتِي كَانَ فِيهَا ٱلْمَوْتُ يَجْثِمُ فَوْقَ صَدْرِهِ ، وَيَسْتَعِدُّ لِٱخْتِطَافِ رُوحِهِ .

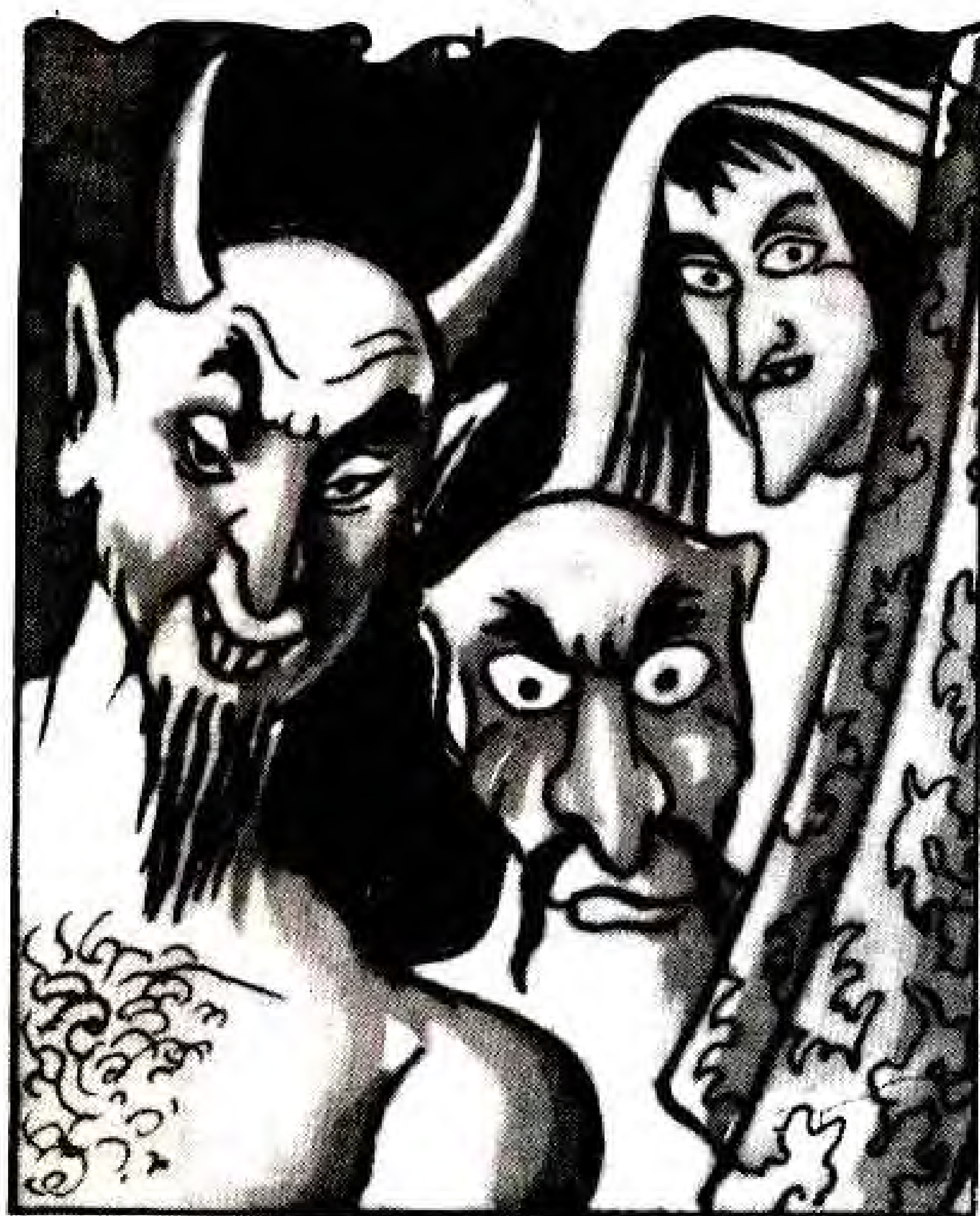
وَسَمِعَ تِلْكَ ٱلْوُجُوهَ قَبِيحَهَا وَٱلْحَسَنَ ، تَتَنَاوَبُ ٱلْحَدِيثَ ، وَتَقُولُ لَهُ وَاحِدًا بَعْدَ آخَرَ : « هَلْ تَذْكُرُ ؟ هَلْ تَذْكُرُ ؟ »



ثُمَّ تُتْبَعُ هٰذِهِ ٱلْجُمْلَةَ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ تَقُصُّ عَلَيْهِ فِيهِ مَا قَامَ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ خِلَالَ حَيَاتِهِ، فَكَانَ يَسْتَمِعُ لَهَا، وَٱلْعَرَقُ ٱلْبَارِدُ يَتَصَبَّبُ مِنْ جَبِينِهِ، وَيُقَاطِعُهَا كُلَّمَا ٱسْتَطَاعَ إِلَى مُقَاطَعَتِهَا سَبِيلًا وَهُوَ يَقُولُ:

«لَا أَذْكُرُ! لَا أَذْكُرُ!»

فَلَمَّا أَطَالَتْ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلَ، صَاحَ مُسْتَغِيثًا:



– «هَاتُوا لِيَ ٱلْمُوسِيقَى! هَاتُوا لِيَ ٱلْمُوسِيقَى! هَاتُوا ٱلطَّبْلَ ٱلصِّينِيَّ ٱلْكَبِيرَ، وَٱضْرِبُوا عَلَيْهِ أَشَدَّ ٱلضَّرْبِ، حَتَّى يُغَطِّيَ دَوِيُّهُ هٰذِهِ ٱلْأَصْوَاتَ، وَيُنْقِذَنِي مِنْهَا، فَإِنَّهَا تُزْعِجُنِي وَلَا أُرِيدُ حَتَّى سَمَاعَ ٱلْكَرِيمِ ٱللَّطِيفِ مِنْهَا.

وَلَـكِنْ عَبَثًا كَانَ يَصِيحُ وَيَسْتَغِيثُ ، فَمَا سَكَتَتْ تِلْكَ ٱلْوُجُوهُ ٱلْغَرِيبَةُ عَنِ ٱلْـكَلَامِ ، بَلِ ٱسْتَمَرَّتْ فِيهِ وَأَطَالَتْ ، وَشَبَحُ ٱلْمَوْتِ يُصْغِى إِلَيْهَا عَلَى مُخْتَلِفِ رِوَايَاتِهَا ، وَيَهُزُّ رَأْسَهُ مُوَافِقًا عَلَى مَا تَقُصُّ وَتَقُولُ .

وَضَاقَ ٱلْمَلِكُ بِذَٰلِكَ ٱلْحَدِيثِ ، وَفَقَدَ كُلَّ صَبْرٍ عَلَيْهِ ، فَعادَ يَصِيحُ وَيَسْتَغِيثُ وَيَقُولُ :

— « هَاتُوا لِىَ ٱلْمُوسِيقَى ! هَاتُوا لِىَ ٱلْمُوسِيقَى ! »

فَمَا أَجَابَهُ أَحَدٌ ، وَلَا لَبَّى نِدَاءَهُ ، فَٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلْبُلْبُلِ ٱلصِّنَاعِىِّ ٱلْوَاقِفِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ سَرِيرِهِ ، وَقَالَ لَهُ :

— « أَيُّهَا ٱلطَّائِرُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَمِيلُ ! غَنِّ غَنِّ . أَسْمِعْنِى لَحْنَكَ ٱلْمُطْرِبَ . . . إِنِّى غَمَرْتُـكَ بِٱلْمَالِ وَٱلْهَدَايَا ٱلثَّمِينَةِ . . . فَغَنِّ لِى إِذَنْ ، وَأَسْمِعْنِى نَغَمَاتِكَ ٱلْحُلْوَةَ ٱلْجَمِيلَةَ . . . »

وَبَقِىَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلصِّنَاعِىُّ سَاكِتًا جَامِدًا لَا يَتَحَرَّكُ وَلَا يُجِيبُ ،

وَلا تَنْفَرِجُ شَفَتَاهُ عَنْ أَيَّةِ نَغْمَةٍ مِنَ النَّغَمَاتِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي ٱلْحُجْرَةِ أَحَدٌ يُدِيرُ مِفْتَاحَ ٱلْآلَةِ ٱلْمُرَكَّبَةِ فِي جَسَدِهِ ، لِتَتَحَرَّكَ وَيَنْبَعِثَ مِنْهَا ٱلْغِنَاءُ .

وَسَكَتَ ٱلْمَلِكُ يَائِسًا مُتْعَبًا ، وَخَيَّمَ حَوْلَهُ صَمْتٌ رَهِيبٌ مُخِيفٌ ، وَأَخَذَ ٱلْمَوْتُ يُحَدِّقُ فِي وَجْهِ ٱلْمَلِكِ بِعَيْنَيْهِ ٱلْغَائِرَتَيْنِ وَعَلَى حِينِ فَجْأَةٍ ، سُمِعَ عِنْدَ ٱلنَّافِذَةِ ٱلْمَفْتُوحَةِ ، صَوْتٌ مِنْ أَجْمَلِ ٱلْأَصْوَاتِ يُغَنِّي وَيُغَرِّدُ ...



كَانَ ذٰلِكَ ٱلصَّوْتُ صَوْتَ ٱلْبُلْبُلِ ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي عَرَفْنَاهُ ، فَقَدْ وَقَفَ فَوْقَ شَجَرَةٍ قُرْبَ ٱلنَّافِذَةِ ، وَٱنْدَفَعَ فِي ٱلْغِنَاءِ .

وَكَانَ هٰذَا ٱلْبُلْبُلُ ٱلْحَيُّ ، قَدْ عَلِمَ بِمَرَضِ ٱلْمَلِكِ ، فَجَاءَ

إِلَيْهِ يُوَاسِيهِ بِأَنْغَامِهِ ، وَيَبْعَثُ فِى نَفْسِهِ ٱلْأَمَلَ بِٱلشِّفَاءِ .

وَلَمْ يَكَدِ ٱلْمَلِكُ يَسْمَعُ ذٰلِكَ ٱلنَّغَمَ ٱلسَّاحِرَ، وَٱلصَّوْتَ ٱلْجَمِيلَ حَتَّى غَابَتْ عَنْ أَنْظَارِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا ، تِلْكَ ٱلْوُجُوهُ ٱلْغَرِيبَةُ ٱلَّتِى كَانَ يَلْمَحُهَا مِنْ ثَنَايَا أَسْتَارِ سَرِيرِهِ، وَحَتَّى عَادَ ٱلدَّمُ يَجْرِى فِى عُرُوقِهِ ، فَاضْطَرَبَ ٱلْمَوْتُ عِنْدَ سَمَاعِهِ ذٰلِكَ ٱلصَّوْتَ ٱلْفَاتِنَ وَقَالَ يُخَاطِبُ ٱلْبُلْبُلَ ٱلْحَىَّ :

– « اِسْتَمِرَّ فِى ٱلْغِنَاءِ أَيُّهَا ٱلْبُلْبُلَ . . . اِسْتَمِرَّ . . . »

فَقَالَ ٱلْبُلْبُلُ :

– « نَعَمْ سَأَسْتَمِرُّ إِذَا أَعْطَيْتَنِى تَاجَ ٱلْمَلِكِ، وَسَيْفَهُ ٱلذَّهَبِىَّ، وَرَايَتَهُ ٱلْحَرِيرِيَّةَ . »

فَقَدَّمَ ٱلْمَوْتُ لِلْبُلْبُلِ تِلْكَ ٱلْكُنُوزَ ، فِى سَبِيلِ أُغْنِيَةٍ يَسْمَعُهَا مِنْهُ ، فَوَفَى ٱلْبُلْبُلُ بِٱلْوَعْدِ ، وَٱسْتَمَرَّ يُغَنِّى . . .

غَنَّى ٱلْبُلْبُلُ لَحْنَ ٱلْمَدَافِنِ وَٱلْقُبُورِ ، حَيْثُ يَسُودُ ٱلصَّمْتُ ، وَتُخَيِّمُ ٱلسَّكِينَةُ ، وَتَتَفَتَّحُ ٱلْأَزْهَارُ ، وَيَنْمُو ٱلْعُشْبُ تَسْقِيهِ دُمُوعُ ٱلْأَحْيَاءِ . . .

فَٱسْتَوْلَتْ عَلَى ٱلْمَوْتِ عِنْدَئِذٍ ٱلرَّغْبَةُ فِي ٱلْعَوْدَةِ إِلَى بُسْتَانِهِ فَتَوَارَى عَنِ ٱلْأَبْصَارِ ، كَمَا تَتَوَارَى وَتَضْمَحِلُّ ٱلسَّحَابَةُ ٱلرَّقِيقَةُ ٱلْبَارِدَةُ . . . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ لِلْبُلْبُلِ ٱلْحَيِّ :

– « شُكْرًا لَكَ أَيُّهَا ٱلْعُصْفُورُ ٱلسَّمَاوِيُّ ! . . . إِنِّي لَأَعْرِفُكَ حَقَّ ٱلْمَعْرِفَةِ . . . أَنْتَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلَّذِي نَفَيْتُهُ مِنْ مَمْلَكَتِي ، فَجِئْتَ مَعَ ذٰلِكَ تَدْفَعُ ٱلْمَوْتَ عَنِّي ، وَتَطْرُدُ ٱلْأَشْبَاحَ ٱلْغَرِيبَةَ ٱلْجَاثِمَةَ حَوْلَ سَتَائِرِي ، فَبِمَاذَا أُكَافِئُكَ وَأَجْزِيكَ ؟ »

فَقَالَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلْحَيُّ :

– « إِنَّكَ كُنْتَ جَزَيْتَنِي أَحْسَنَ ٱلْجَزَاءِ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْعَظِيمُ ، فَمَا أَنَا مَنْ يَنْسَى ٱلدُّمُوعَ ٱلَّتِي سَكَبْتَهَا عِنْدَمَا سَمِعْتَ غِنَائِي لِأَوَّلِ مَرَّةٍ . . . إِنَّ تِلْكَ ٱلدُّمُوعَ هِيَ كُنُوزٌ مِنَ ٱلْفَرَحِ تَمْلَأُ قَلْبَ ٱلْمُغَنِّي ، وَٱلْآنَ نَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لِتَسْتَعِيدَ بِٱلنَّوْمِ صِحَّتَكَ وَنَشَاطَكَ ، وَسَوْفَ أُنْشِدُكَ بَعْضَ ٱلْأَغَانِي ٱلرَّقِيقَةِ حَتَّى تَنَامَ . »

وَغَرَّدَ ٱلْبُلْبُلُ فَنامَ ٱلْمَلِكُ نَوْمًا هَادِئًا هَانِئًا عَمِيقًا .

وَلَمَّا ٱسْتَيْقَظَ ٱلْمَلِكُ فِي ٱلصَّبَاحِ مُمْتَلِئًا صِحَّةً وَقُوَّةً وَعَافِيَةً كَانَتْ أَشِعَّةُ ٱلشَّمْسِ قَدْ مَلَأَتْ جَوَانِبَ غُرْفَتِهِ ، وَٱنْحَدَرَتْ إِلَيْهَا مِنَ ٱلنَّافِذَةِ ٱلْمَفْتُوحَةِ . وَكَانَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلْحَيُّ ، لَا يَزَالُ فِي مَكَانِهِ يُغَنِّي لِلْمَلِكِ ، وَيَشْرَحُ صَدْرَهُ ، وَيُدْخِلُ عَلَى قَلْبِهِ ٱلْبَهْجَةَ وَٱلسُّرُورَ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ :

– «أَقِمْ مُنْذُ ٱلْيَوْمِ فِي قَصْرِي ، وَعَلَى مَقْرُبَةٍ مِنِّي ، تُغَنِّي مَتَى شِئْتَ ، وَتَسْكُتُ مَتَى أَرَدْتَ ، وَلَا تَظُنَّ أَنِّي سَأُبْقِي عَلَى هٰذَا ٱلطَّائِرِ ٱلصِّنَاعِيِّ ، فَسَوْفَ أُحَطِّمُهُ وَأُقَطِّعُهُ أَلْفَ قِطْعَةٍ . »

فَقَالَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلْحَيُّ :

– « لَا ، لَا يَا مَوْلَايَ ، لَا تَفْعَلْ هٰذَا . إِنَّ هٰذَا ٱلطَّائِرَ ٱلْمِسْكِينَ ، قَدْ قَامَ بِمَا ٱسْتَطَاعَ ، فَاحْتَفِظْ بِهِ وَلَا تُحَطِّمْهُ ... أَمَّا أَنَا يَا مَوْلَايَ ، فَيَصْعُبُ عَلَيَّ أَنْ أَعِيشَ فِي قَصْرِكَ ، فَٱسْمَحْ لِي

أَنْ أَزُورَهُ كُلَّمَا هَزَّنِى ٱلشَّوْقُ وَٱلْحَنِينُ إِلَيْهِ، وَأَنْ أَقِفَ فَوْقَ هٰذَا ٱلْغُصْنِ قُرْبَ نَافِذَتِكَ، وَأُسْمِعَكَ ٱلْأَلْحَانَ ٱلَّتِى تَسُرُّ خَاطِرَكَ، وَتَبْعَثُكَ عَلَى ٱلتَّفْكِيرِ فِى ٱلْحَسَنَاتِ . . . سَوْفَ أُغَنِّيكَ أَغَانِى ٱلسُّعَدَاءِ ، وَصَيْحَاتِ ٱلتَّاعِسِينَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ، وَسَوْفَ أُنْشِدُكَ ٱلْأَنَاشِيدَ ٱلَّتِى تَجْلُو لَكَ ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَّ ، لِتَعْرِفَ مَا يَجْرِى فِى ٱلْخَفَاءِ مِنْ حَوْلِكَ . . . سَوْفَ أَتَنَقَّلُ بَيْنَ مَأْوَى ٱلصَّيَّادِ وَكُوخِ ٱلْفَلَّاحِ، وَمَسَاكِنِ ٱلَّذِينَ يَعِيشُونَ بَعِيدِينَ مِنْكَ وَمِنْ بَلَاطِكَ، وَأَكُونُ فِيهَا عَيْنَكَ وَأُذُنَكَ ، فَتَرَى وَتَسْمَعُ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَرَاهُ وَتَسْمَعَهُ مِنْ أَحْوَالِ رَعِيَّتِكَ . . . إِنِّى أُفَضِّلُ قَلْبَكَ ٱلرَّحِيمَ عَلَى تَاجِكَ ٱلْبَرَّاقِ . . . سَوْفَ أَعُودُ إِلَيْكَ وَأُغَنِّيكَ ، وَلٰكِنَّ لِى شَرْطًا وَاحِدًا أَرْجُو أَنْ تَعِدَنِى بِتَحْقِيقِهِ . »

وَكَانَ ٱلْمَلِكُ قَدْ نَهَضَ وَٱرْتَدَى مَلَابِسَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ ٱلذَّهَبِيَّ فَقَالَ : « وَمَا ذٰلِكَ ٱلشَّرْطُ ؟ » . فَقَالَ ٱلْبُلْبُلُ :



– «لَا تُخْبِرْ أَحَدًا أَنَّ لَدَيْكَ طَائِرًا صَغِيرًا يَنْقُلُ إِلَيْكَ ٱلْأَخْبَارَ وَيُطْلِعُكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .»

وَعَلَى ٱلْأَثَرِ، طَارَ ٱلْبُلْبُلُ وَغَابَ وَرَاءَ ٱلْأَشْجَارِ.

وَدَخَلَ عِنْدَئِذٍ ٱلْخَدَمُ وَٱلْأَتْبَاعُ لِيُلْقُوا ٱلنَّظْرَةَ ٱلْأَخِيرَةَ عَلَى مَلِيكِهِمُ ٱلْمُسْجَى عَلَى فِرَاشِ ٱلْمَوْتِ فَلَا تَسَلْ عَنْ دَهْشَتِهِمْ عِنْدَمَا رَأَوْا سَيِّدَهُمْ سَلِيمًا مُعَافًى، وَسَمِعُوهُ يُحَيِّيهِمْ قَائِلًا:

– « صَبَاحَ ٱلْخَيْرِ يَا أَصْحَابِي ... »



أسئلة فى القصة

١ – من أى شىء بنيت حيطان قصر ملك الصين وسقوفه ؟

٢ – ماذا كان صياد السمك يقول عندما يسمع صوت البلبل ؟

٣ – ماذا قال ملك الصين عن الكتب عندما قرأ وصف البلبل ؟

٤ – أى قصاص توعد به ملك الصين رجال حاشيته إذا لم يأتوه بالبلبل ؟

٥ – من أول من حدث كبير الأمناء عن البلبل وصوته الجميل ؟

٦ – سمع رجال الحاشية وهم يبحثون عن البلبل صوتين من أصوات الحيوان ظنوهما صوت البلبل فأى حيوانين سمعوا وماذا يقال لصوت كل منهما ؟

٧ – بماذا شبه كبير الأمناء صوت البلبل عندما سمعه لأول مرة ؟

٨ – ما الهدية التى أهداها الملك للبلبل بعد سماع غنائه ؟

٩ – كم عدد الخدم الذين ألحقهم الملك بخدمة البلبل ؟

١٠ – تسلم ملك الصين فى يوم من الأيام علبة بعث بها إليه أحد الملوك فمن كان ذلك الملك ؟ وعلى أى شىء كانت تحتوى تلك العلبة ؟

١١ – ماذا حدث للبلبل الصناعى عندما كان فى مساء أحد الأيام يغنى وحده للملك ؟

١٢ – من رأى الملك فى الليلة التى ظن أنها خاتمة حياته ؟

١٣ – أى مخلوق كان السبب فى شفاء الملك ؟

١٤ – أى شرط طلب البلبل من الملك تنفيذه ؟

١٥ – اكتب هذه القصة بأسلوبك وإنشائك .